غيبةُ من لا شبيهَ له

كُفّوا المراثيَ، لن تَرقى لعلياهُ

فَقَد تَسَامَى إلى ما يَرتضي اللهُ

لا تَرتقوا منبرًا في نعيهِ فلَقد

هُدّتْ منابِرُنا في ليلِ مَسراهُ

مَسراهُ للزمنِ الغيبيّ عن زمنٍ

هيهاتَ يُنصِفُ في ذِكراهُ ذِكراهُ

****

كُفّوا المراثيَ، لا تُؤذوا سَكينَتَهُ

دَعوهُ يَرتاحُ من أوجاعِ دنياهُ

وابكوا علينا، ونوحوا يُتمَنَا أبدًا

إذ حسبُنا وجعًا: كنّا يتاماهُ

نحنُ المريدونَ، من كانت عباءَتُهُ

ظلّاً لنا، وسحابًا جادَ سُقياهُ

ونـــحـنُ طـــلابُ دَرسٍ لـلـغـريّ ِ بِـــهِ

عــطـرٌ يـــفـوحُ إذا مـــا مـــالَ عِـطـفاهُ

ونـحـنُ أبـنـاءُ بـيـتٍ لـــم يَـكُـنْ سَـكَـنًا

إلا وحُـــبّ ُ بـــنـي الـمـخـتارِ سُـكـناهُ

ونـحنُ مـوكبُهُ الـماشي عـلى لـهبٍ

بـجـمـرةٍ مـــن خـيـام الـطـفّ ِ أوراهُ

نـحـنُ الـصـدى كـلّ َمـا رنّ َت قـصيدَتُهُ

نـحـنُ الـمـدادُ الـــذي لـم تُـجرِ يـمناهُ

الـفـقـدُ فـجّ َرَ نـــهـرًا مـــن عـواطـفنا

لا زالَ يـحـفِـرُ فـــي الأرواحِ مـجـراهُ

****

يـــا سـائـرينَ بـنَـعشِ الـسـيّ ِدِ اتّ َئِدوا

فـبَـعـدُ لـلـحُـزنِ حـــقّ ٌ مـــا قـضـيناهُ

وثَـــمّ َ لـلـسّ ِبـطِ والـــزهـراءِ نـاعـيـةٌ

لـــم تـمتلئ مـن شَـجَـاها بَـعدُ أذنـاهُ

هـــل تـذكـرونَ عـلى الأعـوادِ وقـفَـتَـهُ

يـشـيرُ بـالـكفّـِ والأحـــزانُ تـغـشاهُ؟!

والـدمـعَ كـالـدّرّ ِ فـي خـدّ َيـهِ مُـنـتثرًا

والآهَ، تـــذبـُـلُ فـــي حـرّ َاتـهـا الآهُ؟!

غـابَ الـفريدُ، ولـن نـلقى الشبيهَ لهُ

إن كـــان لـلـنـاسِ أمـــثـالٌ وأشـــبـاهُ

مـضـى، وثـــمّ َ فـــراغٌ، حـيـثُ لا أحـــدٌ

يـسـطـيعُ يَـحـمِـلُ ذاكَ الـحِـمـلَ إلاهُ

****

تزاحمَ الناسُ في التشييع وازدحمت

بـــالـــذكـريـاتِ خـــيـــالاتٌ وأفـــــواهُ

بـالـذكرياتِ الـتـي مـا كـان يـملؤها

إلا هـــواهُ، وطـــيـبٌ مـــن سجـايـاهُ

عيناهُ نبعٌ من الإيمانِ ما نَهلَت

روحٌ صفاءً كما أزجتهُ عيناهُ

كان القداسةَ لولا أنه بَشَرٌ

لرُبما ملكًا باريهِ سَوّاهُ

محلقٌ في السماواتِ العُلى فتكادُ

الهَونَ تمشي على الغيماتِ رجلاهُ

هاتيكَ سيرتُهُ البيضاءُ مدرسةٌ

لمن يُزوّدُ من أولاهُ أخراهُ

ما غرّهُ قطّ من دُنياهُ زبرجُها

لا المالُ مالَ بهِ يومًا ولا الجاهُ

قد كان يحرق قُرصَ الجاهِ لو عَجزت

أن تُطفِئَ الجوعَ، جُوعَ الناسِ كفّاهُ

****

كُفّوا المراثيَ، واستجلوا مطامحه

لـو كـانَ فـينا، تُـرى ما كانَ مسعاهُ؟!

إن كـان غـابَ، فـمـا غـابَت صنائِعُهُ

مـا كـانَ أسـس أو مـا شادَ مـبناهُ

يـا عـاشـقـيهِ إذا تـمّ الـوفـاءُ لـهُ

والـقـلبُ أصـدَقَ مـا قـد كـانَ يـهواهُ

هـا هـم بـنـوهُ عـلـى آثـارهِ حـملوا

ذاتَ الـلـواءِ الـذي بـالأمسِ أعـلاهُ

شـدّوا بـكـفّ الـرضـا كـفّـاً تُـعـاوِنُها

واللهُ بـالـلـطـفِ يَـرعـاكُـم ويَـرعـاهُ